Archive of SID

أ.د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
(إيسيسكو) - المغرب

قراءة في مشروع (ميثاق الوحدة الإسلامية)

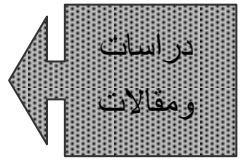

بسم الله الرحمن الرحيم

يعكس مشروع **(ميثاق الوحدة الإسلامية)** الاهتمام الكبير الذي توليه النخب العلمية والفكرية في العالم الإسلامي، لتوحيد الأمة ولمّ شملها ورأب صدعها، ولإزالة الأسباب التي تؤدي إلى تشتت جهودها الرامية إلى التكاتف واكتساب القوة والمناعة ضد المؤثرات السلبية الوافدة مع القوى الدولية الغازية التي تضمر الشر لها. فهذا المشروع يعبّر تعبيراً وافياً، عن طموح إسلامي جماعي إلى إعادة اللحمة إلى الصف الإسلامي، وتجديد البناء الحضاري للعالم الإسلامي، من منطلق إرساء الأسس الثابتة للوحدة المتوازنة المتكاملة، وترسيخ قواعد التعاون الذي يبلغ درجة الشراكة بين البلدان الإسلامية

www.SID.ir

Archive of SID
كافة، في إطار مبادئ منظمة المؤتمر الإسلامي وأهدافها.

فالوحدة الإسلامية أمل الأمة الإسلامية قاطبة، وهي المطمح الذي عمل من أجله رواد نهضتها وقادة شعوبها والصفوة من علمائها ومفكريها، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، على اختلاف الظروف التي عاشوا فيها، وتعاقب مراحل العمل في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي والمقصد النبيل.

والوحدة الإسلامية مصدر من مصادر القوة للأمة الإسلامية، وهي الوسيلة الناجعة للتغلب على عوامل الفرقة والتمزّق وعناصر الضعف والعجز. وهي فوق كل خلاف وتعلو على كل نزاع؛ فما من جماعة أو هيئة أو فئة تعمل من أجل تقوية الأمة وتقدمها ونمائها وإزدهارها، إلاّ وهي تتطلع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية في أجلى مظاهرها وأبهى تجلياتها.

ولما كانت الوحدة الإسلامية هدفاً استراتيجياً دون تحقيقه مراحل وحواجز وصعوبات وتحديات، فقد كان من الطبيعي أن تتعدّد الاجتهادات ووجهات النظر المطروحة حول هذه القضية، وأن تتنوع التصورات والمقترحات، وأن تختلف الآراء والأفكار، وأن

www.SID.ir

Archive of SID
تنشأ مدارس فقهية وإتجاهات فكرية وسياسية لكل منها تصور تطرحه للوحدة الإسلامية، وموقف تتخذه إزاءها. فهذا التنوّع في الرؤى يغني الفكر الوحدوي، ويفتح أمام العاملين في هذا المضمار، آفاقاً واسعة للتأمل وللتعمق في البحث والدرس، وللفتوى الفقهية وللاجتهاد الفكري والسياسي. فلا ضرر إذن في التعدّد في الطرح الوحدوي، ما دامت الغاية واحدة، ومادامت المصالح العليا للأمة الإسلامية هي الدافع القوي للتفكير في هذا المشروع الحضاري الكبير الذي يستحق منا أن نعمل له جميعاً، كل من موقعه الذي يشغله وفي حدود صلاحياته واختصاصاته.

منذ عقود متطاولة، والساحة الفكرية في العالم الإسلامي، تشهد طروحات متعددة واجتهادات متنوعة حول الوحدة والتضامن والتآزر والتعاون من أجل ما فيه الخير والصلاح والقوة والتقدم للأمة الإسلامية. فمن جمال الدين الأسدآبادي المعروف بالأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي الحلبي السوري، إلى محمد عبده المصري، ومحمد رشيد رضا الطرابلسي السوري، وعبد العزيز الثعالبي التونسي، والإمام حسين البروجردي الإيراني،
www.SID.ir

Archive of SID
والشيخ محمود شلتوت المصري، وغيرهم من الأعلام الرواد الذين نادوا بالوحدة، وبشروا بها، ودعوا إليها، وأوجدوا بعملهم وجهادهم الفكري والثقافي والصحافي، تياراً عريضاً يؤمن بالوحدة الإسلامية.

وقد تبلورت الدعوة إلى التضامن الإسلامي في عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في عاصمة المملكة المغربية الرباط، في شهر سبتمبر عام ١٩٦٩، وهو المؤتمر الذي أسفر عن تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي التي هي في حقيقة أمرها وطبيعة مبادئها وأهدافها، الصيغة الملائمة والمناسبة للوحدة الإسلامية في هذا العصر.

إن روح العصر تُوجب على المسلمين أن يتجمّعوا في وحدة حول كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، لأن الله تعالى يدعوهم بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.[1]
www.SID.ir

Archive of SID

إنه لابد أن نجتمع بعد طول الافتراق، لأن الأمة الإسلامية تقوم فيها الروابط على وحدة الدين والعقيدة، ووحدة المبادئ الخلقية الفاضلة والنظم الاجتماعية العادلة والعبادات الجامعة. ففي كل يوم يمر يشعر المسلم بالوحدة، إن أدى العبادات على وجهها، فتلك الوحدة في قلبه آناء الليل وأطراف النهار، فإنه في الصلوات الخمس يتجه إلى الكعبة المكرمة قبلة المسلمين أجمعين، ويشعر وهو يؤدي الصلوات، بأن قلبه مرتبط بالله رب العالمين رب الخلق أجمعين، ومرتبط بالمسلمين في بقاع الأرض بهذه القبلة التي توحد قلوبهم ومشاعرهم[٢]. فالمؤمن جزء من الكل، هو فرد من أمة إسلامية أكرمها الله بالهداية إلى الدين الحق.

إن الأخوة الإسلامية تقوم على ثلاثة مبادئ كلها يتصل بالأخلاق والفضيلة، ليس فيها اعتداء على أحد، ولا تعصب ضد أحد:

أولها: شعور بالأخوة بين المسلمين بعضهم مع بعض، يتحقق فيها قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[٣]، وألا يكون منهم اعتداء على غيرهم إلا إذا اعتدي على إقليم منهم.

www.SID.ir

Archive of SID

ثانيها : وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية، حتى يتضافروا جميعاً على محاربة المذاهب الهدامة، ومنع شيوعها بين المؤمنين خاصة، وبين الناس عامة، حتى لا يكون فساد في الأرض.

ثالثها : ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر، أيا كانت أساليب هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد، أو بالتحالف على مسلمين(٤).

ولئن كانت مفاهيم الوحدة الإسلامية تتعدّد بتعدد الرؤى والاجتهادات، وهذا أمر طبيعي، فإن مما لا شك فيه أن الوحدة الثقافية واللغوية والاجتماعية حقيقة ثابتة لا ريب فيها؛ فالمسلمون جميعاً يدينون بعقيدة دينية واحدة، ويؤدون الفرائض بلغة واحدة، ويحتكمون في أحوالهم الاجتماعية (الأحوال الشخصية) إلى شريعة واحدة. وهذه وحدة إسلامية قائمة لا سبيل إلى نكرانها، وهي من مقومات الشخصية الإسلامية، على الرغم من اختلاف البيئات والأعراق واللغات.

ولكن هذا المستوى الراقي من الوحدة لابد أن يتكامل مع مستويات أخرى على نحو يزيد في ترسيخ قواعدها وتفعيل عناصرها وتحقيق

www.SID.ir

Archive of SID
أهدافها. ولذلك فإن المشروع الذي وضعه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، حول ميثاق الوحدة الإسلامية، لابد أن يكون دعماً قوياً لهذا التوجّه الوحدوي.

ينطلق مشروع **(ميثاق الوحدة الإسلامية)** من رصد موانع التقريب والوحدة، وهي التعصب، والغلو، والتكفير، ونقل النزاع إلى مرحلة الكفر والإيمان، ومؤاخذة الآخر بلوازم كلامه وهو ينكر الملازمة، والحوار اللامنطقي، والإساءة للمقدسات، وفرض المذاهب على الآخرين، والقيام بالأعمال الاستفزازية المثيرة للفتنة، وغير ذلك.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الموانع التي أشار إليها الميثاق، والتي لا تقل خطراً على وحدة الأمة من الأخرى، عجز مناهج التربية والتعليم، عن نشر ثقافة الاحترام والتعايش والتوادّ بين المسلمين، وتشويه حقائق التاريخ وتفسير أحداثه وفق النظرة المذهبية أو الطائفية، والجرأة في التطاول على صحابة رسول الله (ص) وأزواجه أمهات المؤمنين والحط من قدرهم الذي يبلغ أحياناً درجة موغلة في سوء الأدب مع من نزل فيهم القرآن رضي الله عنهم في كتابه العزيز،
www.SID.ir

Archive of SID
والسكوت عن ظواهر الغلو والتطرف مراعاة لمشاعر العوام من أتباع هذا المذهب أو ذاك وحرصاً على استقطابهم واستغلالهم لأغراض غير بريئة، وضعف اللغة العربية ضعفاً معيباً لدرجة يتعذر معها الرجوع إلى أمهات كتب التاريخ الإسلامي ومصادر الثقافة الإسلامية، للاطلاع المباشر على أصول العقيدة والحقائق التاريخية، والتأثر بالسياسات التي تمليها القوى الأجنبية التي لها المصلحة في تمزيق صف الوحدة الإسلامية، وتغليب المصالح الطائفية أو العرقية أو السياسية العارضة على المصلحة الإسلامية العليا، وتقاعس طائفة من العلماء من مختلف المذاهب عن القيام بالواجب المنوط بهم في تبيان حقائق الدين الحنيف وكشف الأباطيل ودحض الشبهات.

وحدد المشروع سبع وسائل للقضاء على موانع التقريب والوحدة، هي: (تنظيم ـ إنشاء ـ مراكز متخصصة للحوار السليم في الشؤون الحياتية الإسلامية، وإصلاح التعليم بكل مراحله لتعم ثقافة الوحدة والشعور بالعزة وتنتفي عوامل إثارة الفتن، وتنظيم الإعلام الإسلامي لنشر ثقافة الوحدة والتصدي للإعلام المعادي، وإحياء المذاهب التربوية الملتزمة بالكتاب والسنة الشريفة، ونشر
www.SID.ir

Archive of SID
مذهب الاعتدال والوسطية والتوازن بشتى الوسائل، والتصدّي للمذاهب والاتجاهات المنحرفة، وتنظيم شؤون الفتوى لتصدر ممن هم أهل لها والتركيز على المجامع الفقهية).

وهذه وسائل فعالة ومجدية وذات تأثير في تعزيز الوحدة الثقافية والوحدة الشعورية بين المسلمين. ولكن ثمة وسائل أخرى لا تقل تأثيراً عنها، منها تفعيل **(استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية)** التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- واعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي العاشر عام ٢٠٠٣. ومنها أيضاً دعم المجلس الاستشاري الأعلى لتنفيذ هذه الاستراتيجية الذي عقد اجتماعه الأول في الرباط في شهر مايو من العام الماضي.

ومن الوسائل الداعمة للوحدة الثقافية بين المسلمين أيضاً، تفعيل الاستراتيجيات الأخرى التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، في مجالات التربية، والثقافة، والعلوم والتكنولوجيا، والتعليم العالي، والتكافل الثقافي. وهي وثائق رسمية تجتمع حولها الإرادة الجماعية للأمة الإسلامية، وتضع إطاراً للعمل الإسلامي

www.SID.ir

Archive of SID

المشترك في هذه المجالات الحيوية.

يقول أحمد أمين في كتابه **(يوم الإسلام)** الذي صدر عام ١٩٥٢ قبل وفاته بسنتين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي: «إن الحاجة إلى الجامعة الإسلامية اليوم لا تزال كما كانت، بل أشدّ مما كانت؛ لأن المسلمين لا يزالون متفرقين رغم توالي الضربات عليهم، ورغم اتحاد السياسة الأوروبية ضدهم ومع محاولة أوروبا خنقهم. وقد قال أحد الأوروبيين إن هذه **النهضة الإسلامية حاولت الاتفاق مع البوذيين ومع الصينيين ولم يبق أمامها إلاّ عدو واحد هو أوروبا، أي أن الشرق ناهض وعلى الغرب أن يستعد لمقابلته في ساحة العراك، وأمام أوروبا اليوم مسألة هامة هي هذه الجامعة الإسلامية. أليس من الحكمة أن تدبر ضربة قوية قاضية تخمد هذه الحركة الإسلامية. أما رأيي أنا ـ يقول هذا الأوروبي ـ فهو اقطفوا البرعم قبل أن يزهر فيثمر**»[٥].

ويلاحظ هنا أن هذا الكتاب لم يلق رواجاً واسعاً في الأوساط الثقافية والعلمية الإسلامية وغيرها، كما لاقت مؤلفات الأستاذ أحمد أمين، خصوصاً منها **(فجر الإسلام)** و**(ضحى الإسلام)** و**(ظهر الإسلام)**. وإذا كان أحمد أمين

www.SID.ir

Archive of SID
لم يورد اسم الأوروبي الذي نقل عنه هذه الفقرة، فقد ساق في مواضع أخرى من كتابه، أقوالاً للمنصّر الشهير (زويمر) حول هذه القضية، جديرة بأن تراجع في مظانها، فهي لا تزال تنطبق على الواقع الحالي، وكأنها قيلت حديثاً.

والمقصود بالجامعة الإسلامية في هذا النص الوحدة الإسلامية؛ فلقد كان هذا هو المصطلح الذي راج منذ أواخر القرن التاسع عشر، ثم تراجع تداوله بعد الحرب العالمية الثانية، ليحل محله مصطلح **(الوحدة الإسلامية)** و**(الوحدة العربية)**، ثم اختزل في **(التضامن الإسلامي)** الجامع لمضامين الجامعة الإسلامية ولدلالاتها ولمراميها وغاياتها. أما المعنى المقصود **(بالحركة الإسلامية)**، فهو ينصرف إلى مصطلح العمل الإسلامي المشترك الذي نأخذ به اليوم، أي الحركة الإسلامية باسم العالم الإسلامي لتحقيق المصالح العليا للأمة الإسلامية.

ومما هو جدير بالانتباه إليه في هذا السياق، أن الغرب قد تنبَّه إلى بشائر النهضة الإسلامية وملامح الحركة الإسلامية بالمفهوم العام الشامل، وليس بالمفهوم الضيق المتداول في مرحلتنا الحالية قبل

www.SID.ir

Archive of SID

عقود من السنين. ولذلك تربص الغرب بفكرة الوحدة الإسلامية، وسعى بكل الوسائل لتشويه مقاصدها وتحريف مضامينها وشن حملات التشهير ضد المتبنين لها الداعين إليها والعاملين من أجلها. يقول الإمام الخميني: «إن هدف القوى الكبرى وعملائها في البلدان الإسلامية، يتمثل في بث الفرقة بين المسلمين ـ الذين آخى الله بينهم وسمَّى المؤمنين منهم بالإخوة ـ وفصلهم عن بعضهم، باسم الشعب التركي، والشعب الكردي، والشعب العربي، والشعب الفارسي، بل وإيجاد العداوة بينهم. ومثل هذا يتناقض مع نهج الإسلام والقرآن الكريم تماماً»[٦].

إنَّ الوحدة الإسلامية فريضة دينية وضرورة حياتية. وهي من الأهداف السامية التي يتوجَّب على جميع المسلمين السعي بكل إخلاص من أجل تحقيقها. وهي على مستويات عديدة، أهمّها من وجهة النظر الواقعية، الوحدة الثقافية التي أساسها المتين الوحدة الإيمانية، ثم الوحدة الوجدانية، ووحدة المصالح المشتركة.

وإذا كان الدين لا يأمرنا بالتمزق والصراع، بل يحضنا على الوحدة والتآخي،

www.SID.ir

Archive of SID
وإذا كان العقل والمصلحة لا يأمراننا بذلك بل يحضاننا على الوحدة والتكتل والتناصر، فلماذا نفعل فيما بيننا عكس ما يمليه علينا الدين والعقل والمصلحة؟. لذلك لابد لنا من البحث، أولاً عن أعماق أبعد، في داخل الذات، وليس خارجها ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[٧].

فالكلّ يعلم أن الوحدة والتكتل والتعاون والتضامن هي من أهمّ مكونات الجانب الجمعي والعام من جوانب الشخصية الإنسانية، وسلامة تكوين الجوانب المختلفة للشخصية الإنسانية ـ الفردي منها والجمعي على حد سواء ـ أمر ضروري لاستقامة الشخصية الإنسانية وتوازنها، وبالتالي استقامة المجتمع وتوازنه[٨].

إن كل المقومات والإسهامات الإيجابية في تاريخ المسلمين تدعم وحدة المسلمين وتدعو إليها، لأنها ترجع إلى الإسلام وقيمه، فهو الذي وحَّد أصلاً قبائلهم وشعوبهم، وسوَّى وآخى بينهم، وجعل من كل سلبيات العنصرية إيجابيات تدعو إلى التساوي والتآخي والتضامن. فكل البشر من نفس واحدة، وتسميتهم شعوباً وقبائل سبب ومدعاة للتعارف والتكامل، واختلاف ألسنة البشر وألوانهم هي

www.SID.ir

Archive of SID
من مظاهر عجائب خلق الله وآياته وبديع صنعه في تسوية الإنسان وكمال خلقه، وليس شيء منها أداة أو وسيلة للتعالي والاستكبار والتناحر والعداء[٩].

إن الأسس التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية، والتي استعرضها الميثاق، هي مدخل إجماع إسلامي لا استثناء فيه، (فالإسلام هو الدين الخاتم، وهو أمانة في أعناق المسلمين، عليهم تطبيقه في كل مناحي الحياة، والذب عنه وعن حرماته ومقدساته، وعليهم تقديم المصلحة الإسلامية العليا على باقي المصالح، والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسان للشريعة الإسلامية، والمذاهب الإسلامية كلها تشترك في الإيمان بهذين المصدرين. والإيمان بالأصول والأركان التالية هو الضابط للصبغة الإسلامية: أ) **الإيمان** بوحدانية الله تعالى (التوحيد)، ب) **الإيمان** بنبوة وخاتمية الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ج) **الإيمان** بالقرآن بمفاهيمه وأحكامه باعتباره المصدر الأول للإسلام، د) **الإيمان** بالمعاد (البعث)، هـ) **الإيمان** بأركان الإسلام وبمسلمات الدين المتفق عليها كالصلاة والزكاة والصيام

www.SID.ir

Archive of SID

والحج)[١٠].

إنّ مما يلفت النظر في هذا المشروع، ما ورد فيه تحت (الأسس) بخصوص الاجتهاد، ثم الحفاظ على المصالح العامة للأمة الإسلامية. فصحيح أن الإسلام دعا إلى الاجتهاد (أو أقر الاجتهاد كما في الميثاق) في إطار المصادر الإسلامية (أو بالأصح المصدرين الرئيسين القرآن والسنة النبوية)، ولكنه لم (يقر الاختلافات الفكرية عبر إقراره شرعية الاجتهاد) حسب الصياغة الواردة في المشروع، لأن الإسلام يراعي طبيعة البشر الذين يختلفون ويتفقون، وسنَّ الاجتهاد وإعمال الفكر لاستنباط الحلول لمشكلات الناس. وعلى أهمية الاجتهاد وفضله ووجوبه، فإنه ليس من الأسس الإيمانية. كما أن (المحافظة على المصالح العامة للأمة الإسلامية) على وجوبها، فإنها ليست من الأسس الإيمانية. ولذلك يتعيَّن أن تدرج هاتان المسألتان ضمن الواجبات التي تقتضي القيام بهما، وتدخل في إطار (التطلعات) ـ حسب عبارة الميثاق ـ التي تحدد مهام العلماء والمفكرين، ومن جملتها السعي إلى جعل الوضع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي المعاصر أقرب ما يكون إلى عصر

www.SID.ir

Archive of SID

الرسالة الأول من حيث الأخوة الدينية، والتعاون على البر والتقوى، والوقوف صفاً واحداً أمام التحديات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والابتعاد عن التفرق والتنازع وعن كل ما يؤدي إلى وهن المسلمين وفشلهم، وتوسيع نطاق التضامن القائم حالياً بين المذاهب الإسلامية ليشمل المسلمين جميعاً، وتعزيز الصحوة الإسلامية وتعميقها وترشيدها، وتحقيق التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية.

وهذه أهداف سامية ومهام مستعجلة، ومن الأولويات التي يتفق عليها الجميع، والتي لا ينبغي أن يسبقها غيرها؛ إذ لا فائدة ترجى في الاشتغال بالقضايا التي عفى عليها الزمن، وإثارتها اليوم تضرّ ولا تنفع ألبتة.

يقول الإمام البروجردي عن ضرورة تغيير مسار الحوار بين أهل السنة والشيعة، نحو ما يمكن أن يتفقوا عليه، وإبعاد الحوار عن المسار الذي لا يمكن أن يتفقوا عليه: «**إنَّ مسألة الخلافة لا جدوى فيها اليوم لحال المسلمين، ولا داعي لإثارتها وإثارة النزاع حولها. ما الفائدة للمسلمين اليوم أن نطرح مسألة من هو الخليفة الأول؟. إنما المفيد**

www.SID.ir

Archive of SID

لحال المسلمين اليوم هو أن نعرف المصادر التي يجب أن نأخذ منها أحكام ديننا»[١١].

وممّا ينسجم مع هذا التوجّه الحكيم ما جاء في ختام المقدمة الاضافية القيمة التي كتبها الشيخ محمود شلتوت لطبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة لتفسير **(مجمع البيان في تفسير القرآن)** للسعيد أبي الفضل بن الحسن الطبرسي من «أن المسلمين ليسوا أرباب أديان مختلفة، ولا أناجيل مختلفة، وإنما هم أرباب دين واحد، وكتاب واحد، وأصول واحدة، فإذا اختلفوا فإنما هو اختلاف الرأي مع الرأي، والرواية مع الرواية، والمنهج مع المنهج، وكلهم طلاب الحقيقة المستمدة من كتاب الله، وسنة رسول الله، والحكمة ضالتهم جميعاً ينشدونها من أي أفق. فأول شيء على المسلمين وأوجبه على قادتهم وعلمائهم، أن يتبادلوا الثقافة والمعرفة، وأن يقلعوا عن سوء الظن وعن التنابز بالألقاب، والتهاجر بالطعن والسباب، وأن يجعلوا الحق رائدهم، والإنصاف قائدهم، وأن يأخذوا من كل شيء بأحسنه ﴿**فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولائك الذين هداهم الله، وأولائك هم أولو**

www.SID.ir

Archive of SID

الألباب﴾[١٢] ...».

ويقول الدكتور عبد الرزاق السنهوري معبراً عن فكرة الوحدة الإسلامية بصياغة قانونية عميقة باعتباره فقيهاً قانونياً مبرزاً: «إن الشرق إذا أراد أن يبني نهضته على مبدأ القومية، فلابد له في الوقت ذاته من أن يُوجد شيئاً من الاتصال بين أقوامه المتعددة، في مبدأ نهضتها حتى يسهل بعد ذلك أن تكون هذه الأقوام على صفاء ووداد، ويجمعها كثير من عوامل التوحيد. فلنترك الشرق تستكمل كل قومية فيه مقوماتها، **ولكن لننفخ في هذه القوميات روحاً شرقية واحدة، تسترشد بها الأمة في نهضتها الوطنية**، حتى يسود التآخي والتعاون فيما بين هذه الأمم، ويسهل بعد زمن ـ قريب أو بعيد ـ أن تحقق نوعاً من الوحدة في الشرق لا تزال أوروبا تتلمس إليه الطريق حتى اليوم. **إن الشرق الأدنى والدول الإسلامية لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير دين الإسلام**»[١٣].

ويقول السنهوري **إن الشرق بالإسلام والإسلام بالشرق.** وكان ذلك هو الشعار الذي طرحه في كتاباته للنهضة الإسلامية والجامعة الإسلامية لسائر الشعوب. ويقول هذا الفقيه القانوني

www.SID.ir

Archive of SID

الكبير أيضاً : «...**ولنهضة الشرق يجب المضيّ في بث تعليم اللغة العربية في البلاد التي لا تتكلم بها، واتخاذها لغة رسمية للمؤتمرات والحكومات، وإنشاء مجامع علمية لغوية فنية**»(١٤).

وقبل تسعة وأربعين عاماً كتب الشيخ محمد الغزالي، مقالاً نفيساً في مجلة **(رسالة الإسلام)**، جاء فيه : «لا أنكر أن هناك خلافاً نشب بين بعض العلماء والبعض الآخر، بيد أن ذلك لا يسوغ نقله إلى ميدان الحياة العامة ليقسم أمتنا ويصدع حاضرها ومستقبلها. صحيح أن الخلاف نشأ سياسياً ووسعت شقته مسالك الحكام ومطامع السلطان. وعلى الساسة أن يصلحوا ما أفسد أسلافهم، وأن يسخروا قواهم في التجميع بعدما سخرت قديماً في الفتق والشتات. لكن الدور الآن للعلماء، فإن العلم تأثر بالحكم دهراً، وتلونت الدراسات الدينية بمآرب الحاكمين، ثم ذهب المنتفعون من ذوي السلطة، وبقي المخدوعون من أهل العلم، أعني العامة وأشباههم. فعلينا نحن حملة الإسلام أن نصحح الأوضاع ونزيل الأوهام»(١٥).

www.SID.ir

يرسم مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية

Archive of SID
(الخطوات العامة)، ويعني بها الإجراءات العملية لتحقيق التقارب والوحدة الإسلامية، ومنها (تجنب تكفير المسلمين وتفسيقهم ورميهم بتهم مثل البدعة، وعدم نقل الاختلافات من مرتبة الخطأ والصواب إلى مرتبة الكفر والإيمان، والتعامل باحترام عند الاختلاف باعتبار أن ذلك نتيجة لإقرار التعددية الاجتهادية في الإسلام، وعدم الإساءة لمقدسات الآخرين، ونشر ثقافة الحوار وأدب المناظرة وفقه الوحدة الإسلامية، والتأكيد على عدم مسؤولية المذاهب العقدية والفقهية والتربوية عن أي ممارسات خاطئة ترتكب باسمها من قتل للأبرياء وهتك للأعراض وإتلاف للأموال وغير ذلك، وعدم الدعوة لإغلاق البحث في الجوانب التاريخية والعقدية والتشريعية المختلف حولها على أن يترك البحث فيها للمتخصصين يعالجونها بروح الأخوة والموضوعية وتحري الحقيقة.

إن هذه الإجراءات، أو الخطوات الواجب اتباعها، تتفق من وجوه كثيرة، مع الإجراءات التي تقترحها **(استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية)**. وهي تعبر عن فهم عميق لطبيعة العلاقات السائدة بين المذاهب
www.SID.ir

Archive of SID
الإسلامية. ولكن ما ينبغي أن نلاحظه في هذا السياق، هو أن هذا المشروع ينبني على أساس أن الوحدة الإسلامية هي التقريب بين المذاهب الإسلامية فحسب، بينما هذا مظهر واحد من مظاهر الوحدة بين المسلمين، لأن ثمة مظاهر أخرى تتمثل في ضروب شتى من الوحدة. وإن كان هذا لا ينفي أن **التقريب بين المذاهب الإسلامية سيعزز التقارب بين أتباعها، وفي ذلك تعزيز للوحدة الإسلامية.** لأن العمل في المجالات الاقتصادية والثقافية والتربوية والعلمية والرياضية والشبابية وغيرها، في إطار العمل الإسلامي المشترك، له هو أيضاً مفعوله القويّ في ترسيخ دعائم الوحدة الإسلامية. ولكن العمل في هذا المجال، وفي غيره من المجالات، سيكون أيسر وأكثر نفعاً وأعمّ فائدة، إذا كان ثمة تعزيز للتقارب بين المسلمين الذي ينبع من تفاهم حقيقي هو ثمرة من ثمار الأخوة الإسلامية.

إنّ مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية يضع إطاراً عاماً لما يسميه (التطلعات المذظورة)، وهي ثلاثة: (تقريب أخلاقيات الوضع الحالي إلى أخلاقيات عصر الرسالة، وتقريب العلاقات الراهنة بين المسلمين إلى

www.SID.ir

Archive of SID
مستوى العلاقات بين أئمة المذاهب الإسلامية، وتوسيع نطاق التضامن ليشمل العالم الإسلامي بكل أقطاره ومذاهبه وأعراقه). ثم يحدد المشروع أربع وسائل يقترحها لِـ (**تعبئة الطاقات المادية والمعنوية لإعلاء كلمة الله ومجابهة التحديات**)، وهي: (نشر ثقافة المقاومة، وتعميق الإحساس بالمسؤولية المشتركة، وتقوية الأمل بالمستقبل الموحد، وتعميق الشعور بالعزة والكرامة).

ومما يلاحظ في هذا السياق هذا التداخلُ بين (التطلعات) وبين (الوسائل). وكان ينبغي التدقيق في صياغة هذه العبارات التي هي بمثابة الديباجة للمشروع.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه (التطلعات) و(الوسائل) متقاربة في المفاهيم، وهي لا خلاف حولها، لأنها من المسلمات. وإن كانت عبارة (ثقافة المقاومة) في حاجة إلى تحرير يُبيّن معناها وضوابطها ومجالاتها.

أما العمل على تعميق الإحساس بالمسؤولية المشتركة لإقامة قواعد الوحدة الإسلامية، فهو الأساس في تقوية الأمل بـ (**المستقبل الموحد**)، مما يزيد في تعميق الشعور بالعزة والكرامة. وكل ذلك مرتبط بنشر ثقافة
www.SID.ir

Archive of SID

الحوار والتفاهم، و(**التعايش الإسلامي-الإسلامي**)، وفقه الوحدة الإسلامية في إطار فقه الأولويات الذي يراعي مقاصد الشريعة الإسلامية ومآلات الأحكام والمصالح المرسلة.

والخلاصة أن مشروع ميثاق الوحدة الإسلامية، أو أي مشروع وحدوي آخر، لابد أن ينطلق من أساسين اثنين:

أولهما أن وحدة الأمة الإسلامية الإيمانية والعقدية والوجدانية، قائمة فعلاً وصدقاً وواقعاً، بحكم قوله تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾(١٦) وفي آية أخرى: ﴿**فاتقون**﴾(١٧).

أما **ثاني** هذين الأساسين، فهو أن نبدأ من المكاسب التي تحققت فعلاً والتي هي في حقيقة الأمر، من إنجازات العالم الإسلامي في القرن العشرين، ومن ذلك **ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي**، و**ميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة**، و**ميثاق مجمع الفقه الإسلامي الدولي**، و**بلاغ مكة** الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (١٩٨١)، و**بلاغ مكة** الصادر عن الدورة الثالثة الاستثنائية لمؤتمر القمة الإسلامي (٢٠٠٥)، ومن قرارات مؤتمرات القمة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية

www.SID.ir

Archive of SID

لوزراء الخارجية، والمؤتمرات الإسلامية المتخصصة، التي تهدف جميعها إلى تعزيز التضامن الإسلامي، وترسيخ قواعد الوحدة الإسلامية.

الهوامش:

١- آل عمران/ ١٠٢-١٠٣.
٢- الوحدة الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، الصفحتان: ١٤٣-١٤٤، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧.
٣- الحجرات/ ١٠.
٤- المصدر السابق، الصفحة ٢٤٦.
٥- يوم الإسلام، ضمن موسوعة أحمد أمين، صفحة ٢١٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢.
٦- حديث الانطلاق، تأليف حميد الأنصاري، صفحة ٢٨٨، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، الطبعة العاشرة، ٢٠٠٤م.
٧- الرعد/ ١١.
٨- أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة، د. عبد الحميد سليمان، الصفحة ١٤١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م.
٩- المصدر السابق، صفحة ١٣٥.
١٠- ورد في مشروع الميثاق (الجهاد) ضمن أركان الإسلام. وهذا غير متفق عليه بين جميع المذاهب الإسلامية. وعدم الإيمان بالجهاد ركناً لا ينال من صحة الإيمان، ولا يصح عقلاً أن تكون المسائل أو العقائد الخلافية أساساً للاتفاق على صيغة مقترحة للوحدة الإسلامية، لأن الوحدة تقوم على

www.SID.ir

Archive of SID

المتفق عليه.
١١- حياة الإمام البروجردي وآثاره العلمية ومنهجه في الفقه والأصول والرجال، محمد واعظ زاده الخراساني، صفحة ١٨٦، منشورات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٢م.
١٢- الزمر، الآيتان ١٧-١٨. نقلاً عن مجلة (رسالة الإسلام)، العدد الثالث السنة العاشرة، محرم ١٣٧٨ يوليو ١٩٥٨، صفحة ٢٤١. القاهرة. وقد كتب الشيخ محمود شلتوت هذه المقدمة يوم أن كان وكيلاً للأزهر الشريف، بروح الأخوة الإسلامية والإنصاف والتقدير الكبير للعلامة الطبرسي. فلقد كان رحمه الله من الدعاة إلى الوحدة الإسلامية وفي طليعة العاملين لها. أما عن كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن)، فقد صدرت طبعة ثانية منه مصورة عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.
١٣- إسلاميات السنهوري باشا : إسلامية الدولة والمدنية والعمران، الدكتور محمد عمارة، الجزء الأول، صفحة ١٠١، دار الوفاء، المنصورة (مصر) الطبعة الأولى ٢٠٠٦م. والنقل من مقال للسنهوري بعنوان : (الإسلام والشرق) منشور في ملحق جريدة (السياسة) القاهرية : ١٤-١٠-١٩٣٢، ومن (الأوراق الشخصية) وهي مذكراته (باريس : ٣٠-١٠-١٩٢٣).
١٤- (الأوراق الشخصية)، الدكتور عبد الرزاق السنهوري (ليون-فرنسا في ٧-٩-١٩٢٣). النقل من المصدر السابق.
١٥- محمد الغزالي، مجلة (رسالة الإسلام)، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، الصفحة ٤١٥، ربيع الثاني-جمادى الآخرة ١٣٧٩-هـ، أكتوبر-ديسمبر ١٩٥٩م.
١٦- الأنبياء/ ٩٢.
١٧- المؤمنون/ ٥٢.
www.SID.ir